

تفسير السعدي

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ^ج
أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ^ج فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ

اعلم أن كثيرا من هذه السورة الكريمة، نزلت في غزوة تبوك، إذ ندب النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى غزو الروم، وكان الوقت حاراً، والزاد قليلاً، والمعيشة عسرة، فحصل من بعض المسلمين من الثقل ما أوجب أن يعاتبهم الله تعالى عليه ويستنهضهم، فقال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا! أَلَا تَعْمَلُونَ بِمُقْتَضَى الْإِيمَانِ، وداعي اليقين من المبادرة لأمر الله، والمصارعة إلى رضاه، وجهاد أعدائه والنصرة لدينكم، فَاثَّاقُلْتُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ! أَيُّهَا تَكَاسَلْتُمْ، وملتَمِ إِلَى الْأَرْضِ والدعة والسكون فيها! أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ! أَيُّهَا مَا حَالَكُمْ إِلَّا حَالٌ مِنْ رِضَايَ بِالدُّنْيَا وَسَعَى لَهَا وَلَمْ يَبَالِ بِالْآخِرَةِ، فكأنه ما آمن بها! فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا! التي مالت بكم، وقدمتموها على الْآخِرَةِ! لَا قَلِيلٌ! أَفَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَقُولًا تَرْتُونُ بِهَا الْأُمُورَ، وأنها أحق بالإيثارة! أَفَلَيْسَتْ الدُّنْيَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا لَا نِسْبَةَ لَهَا فِي الْآخِرَةِ! فما مقدار

عمر الإنسان القصير جدا من الدنيا حتى يجعله الغاية التي لا غاية وراءها، فيجعل سعيه

وكده وهمه وإرادته لا يتعدى حياته الدنيا القصيرة المملوءة بالأكدار، المشحونة

بالأخطار! فبأي رأيٍ رأيتُم إثارها على الدار الآخرة الجامعة لكل نعيم، التي فيها ما تشتهي

الأنفس وتلد الأعين، وأنتم فيها خالدون، فوالله ما أثر الدنيا على الآخرة من وقر الإيمان

في قلبه، ولا من جزل رأيه، ولا من عُدٍّ من أولي الألباب،